

باب

علل الاستعاذة

«١» قال أبو محمد^(١) : إن سأل سائل فقال : لأي شيء جيء بالاستعاذة في أول الكلام ؟ .

فالجواب أن الاستعاذة دعاء إلى الله جلّ ذكره واستجارة به من الشيطان ، وامثال لما أمر به نبيه عليه السلام إذ قال له في كتابه : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم)^(٢) « النحل ٩٨ » .

«٢» فإن قيل : فما معنى الاستعاذة ، وما أصل « أعوذ »^(٣) ؟ .

فالجواب أن معنى الاستعاذة الاستجارة والامتناع بالله^(٤) من همزات^(٥) الشياطين بدلالة قوله تعالى : (وقل ربّ أعوذ بك من همزات الشياطين)^(٦) « المؤمنون ٩٧ » والشيطان في الاستعاذة^(٧) اسم للجنس^(٨) يتراد به الشياطين بدلالة الجمع في الآية ، فأما « أعوذ » فأصله « أعوذ » على وزن « أفعل » مثل « أدخل » فألقيت حركة الواو على العين ، فسكنت الواو وانضمت العين بمنزلة^(٩) « أقول » ، وألف « أعوذ » ألف المتكلم في فعل ثلاثي في الماضي .

(١) قوله : « قال أبو محمد » سقط من : ص .

(٢) عبارة « ص » بعد لفظة « فالجواب » هكذا : « فالجواب أن لا إله إلا هو عز وجل واستجارة به من الشيطان الرجيم » وما سوى ذلك سقط منها .

(٣) قوله : « وما أصل أعوذ » سقط من : ص .

(٤) قوله « بالله » سقط من : ص .

(٥) أي نخسها وطعنها وغمزاتها ، ومنه وصف العائب بـ « الهمزة » ، انظر تفسير غريب القرآن ٣٠٠ . والقاموس المحيط « همز » .

(٦) قوله : « بدلالة قوله ... الشياطين » سقط من : ص .

(٧) قوله : « في الاستعاذة » سقط من : ص .

(٨) ب ، ص : « اسم الجنس » ورجحت ما أثبتته .

(٩) ص : « بمعنى » .

وعلة فتح^(١) الألف أنها أخت الياء والتاء والنون اللواتي^(٢) يدخلن في الفعل المضارع للدلالة على الحال والاستقبال ، فوجب أن تكون حركة الألف كحركاتهن إن فُتحت فُتحت الألف ، وإن ضُممن ضمت الألف ، وكذلك^(٣) قياس ألف المتكلم حيث وقعت .

«٣» فإن قيل : فهلا بقيت الواو مضومة لسكون ما قبلها ، وصحّت كما صحت في قولهم : هذادلو ، لسكون ما قبلها (أ/٣) ؟ .
فالجواب أن سكون العين في «أعوذ» ليس بأصل كسكون اللام في «دلو» ، وأصل العين الفتح في «عاذ» . وإنما سكنت العين لدخول الزوائد عليها ، ولثلاث تجتمع أربع حركات متواليات في «يضرب ويخرج»^(٤) ونحوه^(٥) ، فلما كان سكون العين ليس بأصل لم يَعتد به ، وأعلّت الواو . وأيضاً^(٦) فإن الواو قد اعتلت في الماضي في «عاذ» فوجب أن تعمل^(٧) في المستقبل اتباعاً ، لئلا يختلف حكم الفعل .

«٤» فإن قيل : فما الاختيار في الاستعاذة ؟ .
فالجواب^(٨) أن الذي عليه العمل ، وهو الاختيار أن يقول القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم^(٩) . وعلة اختيار ذلك ما وقع في النص بلفظ^(١٠) الأمر الذي معناه الترغيب في قوله : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم)

(١) ص : «فتحة» .

(٢) قوله : «والتاء والنون اللواتي» سقط من : ص .

(٣) ص : «فكذلك» .

(٤) قوله : «في يضرب ويخرج» سقط من : ص .

(٥) ذلك أن ماضي هذين الفعلين اللذين مثل بهما وهما «ضرب وخرج» اجتمعت فيه ثلاث حركات ، فإذا دخل حرف المضارعة سكن أوله ، ولذا لم تجتمع فيه أربع حركات .

(٦) ص : «أيضاً» .

(٧) ص : «تعمل» .

(٨) ص : «قال أبو محمد فالجواب» .

(٩) ص : «من الشيطان الرجيم» سقط من : ص .

(١٠) ص : «لفظ» .

«النحل ٩٨» ، فحَضَّنَا الله على قول «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» عند القراءة، فعَلِينَا امْتِثَالُ هذا الذي رَغَبْنَا فيه عند افتتاح القراءة .

«٥» فَإِنْ قِيلَ : فَإِنْ لَفْظَ الْقُرْآنِ أَتَى بِلَفْظِ الْأَمْرِ وَالْحَتْمِ بِهِ ، أَذَلِكَ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ أَمْ لَا ؟ .

فالجواب أن لفظ الأمر في القرآن يأتي على وجوه كثيرة ، ليس معناها الفرض والحتم ، نحو قوله : (وَإِذَا حَكَلْتُمْ فَاصْطَادُوا) «المائدة ٣» واللفظ لفظ الأمر ومعناه الإباحة^(١) . ومثله : (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا) «الجمعة ١٠» ويأتي لفظ الأمر^(٢) ومعناه التَدْبُّبُ والإرشاد كقوله : (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ) «النور ٣٢» ، و (فَأَنْكِحُوا مَاطَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) «النساء ٣» وكذلك^(٣) قوله : (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) معناه التَدْبُّبُ والإرشاد . ليس على الفرض والحتم .

«٦» فَإِنْ قِيلَ : فَإِنْ ظَاهَرَ النَّصُّ أَنَّ يَتَعَوَّذُ الْقَارِءُ بَعْدَ الْقِرَاءَةِ لِأَنَّهُ قَالَ : «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ» ، وَالْفَاءُ بَعْدَ مَا قَبْلَهَا تَتَّبِعُهُ ، هُوَ أَصْلُهَا^(٤) .

فالجواب أن المعنى على خلاف الظاهر ، معناه : فَإِذَا أُرِدْتَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، ودل على ذلك الإجماع أن الاستعاذة قبل القراءة ، ودليل هذا المعنى^(٥) قوله تعالى : (وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءََهَا بِأَسْنَا) «الأعراف ٤» فوقع في ظاهر التلاوة أن مجيء البأس بعد الهلاك ، وليس المعنى على ذلك ، إنما^(٦) معناه : وكم من قرية أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا . فمجيء البأس بعد إرادة الهلاك وقبل الهلاك^(٧) ، وكذلك التَعَوَّذُ بالمأمور به يكون بعد إرادة القراءة ، وقبل القراءة على

(١) ص : «معنى الإباحة» .

(٢) قوله : «ويأتي لفظ الأمر» سقط من : ص .

(٣) ص : «فكذلك» .

(٤) قوله : «هو أصلها» سقط من : ص .

(٥) قوله : «قبل القراءة ... المعنى» سقط من : ص .

(٦) ص : «وانما» .

(٧) قوله : «وقبل الهلاك» سقط من : ص .

أصل الفاء (١) .

«٧» فإن قيل : فمن أي شيء اشتق الشيطان ، لعنه الله ، وما وزنه ، وما (٢)

معناه ؟

فالجواب أن اشتقاقه فيه قولان : أحدهما أنه مشتق من «شَطَن» إذا بعد ، يقال : دار شَطُون ، أي بعيدة ، وبئر شَطُون ، أي بعيدة القمر ، فيكون وزنه على هذا «فَيْعَلاً» ، سُمِّيَ بذلك لبُعده من رحمة الله . والقول الثاني أن يكون مشتقاً من «شَاطِ يَشِيطُ» إذا هلك ، فسُمِّيَ بذلك لهلاكه بمعصيته وغضب الله عليه ، فيكون وزنه على هذا «فَعْلان» (٣) .

«٨» فإن قيل : فما معنى «الرجيم» ؟

فالجواب أن فيه ثلاثة أقوال : الأول أن يكون بمعنى «مرجوم» وصف (٣/ب) بذلك لأنه يَرْجَمُ بالنجوم عند استراقه السمع ، قال الله جلّ ذكره في الكواكب (وجعلناها رُجوماً لِلشَّيَاطِينِ) «الملك ٥» ، والثاني أن يكون بمعنى «المرجوم» أي : المشتوم على معصيته كما قال تعالى : (لئن لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ) «مريم ٤٦» أي : لأشتمنك والثالث أن يكون بمعنى المرجوم أي : الملعون ، ومعنى «اللعون» المطرود المبعد من رحمة الله وجواره ، ومنه قوله تعالى : (لعنه الله) «النساء ١١٨» أي : أبعده من رحمته وطرده من جواره (٤) .

«٩» فإن قيل : فما وجه ما ذكرته في «كتاب التبصرة» أن خَلَفًا (٥) روى عن

(١) تفسير ابن كثير ١٢/١ ، ومجالس ثعلب ٣٠٢ ، وبأشبع منه في إيضاح الوقف

والابتداء ٥١١ ، والقرطبي ٨٦/١ ، والنشر ٢٥٧/١

(٢) لفظ «وما» سقط من : ص .

(٣) وعلى الاول ابن قتيبة انظر تفسير غريب القرآن ٢٣ ، والقاموس المحيط «شَاطِ ، شَطَن» .

(٤) وفيه وجه آخر تستفاد من مادة «رجم» في القاموس المحيط .

(٥) هو خلف بن هشام ، أحد القراء العشرة ، وأحد الرواة عن سلتيم عن حمزة الزيات ويعقوب . وثقه ابن معين والنسائي (ت ٢٩٩ هـ) ترجم في طبقات ،

ابن سعد ٣٤٨/٧ ، والجرح والتعديل ٣٧٢/٢/١ ، وطبقات القراء ١/٢٧٢

حمزة^(١) أنه كان يخفي التعموذ^(٢) ؟ .

فالجواب أنه إنما كان يفعل ذلك لئلا يظن ظان أو يتوهم متوهم أنه من القرآن ، أو أنه^(٣) فرض لازم فتعوذ في نفسه اتباعا لحض الله على ذلك .

«١٠» فإن قيل : فما وجه ما ذكرت أنه روى سَلَيْم^(٤) عن حمزة أنه كان^(٥) يخفي التعموذ والبسلة^(٦) ؟ .

فالجواب أن ذلك إذا صحّ ، فمعناه أنه أخفاهما لئلا يظن ظان أنهما من القرآن فاكتمى بالإخفاء عن الإظهار ، ولأنه إنما يقرأ عليه القرآن، ولذلك أخفى^(٧) . والتعوذ والبسلة ليسا من القرآن ففرّق بالإخفاء^(٨) ، بين ما ليس بقرآن وبين ما هو قرآن . وأما سائر القراء فأظهروهما إذ قد وقر^(٩) في النفوس ، وعلم أنهما

(١) هو حمزة بن حبيب الزيات ، أحد القراء السبعة ، وفي الطبقة الرابعة من الكوفيين ، وثقه ابن حنبل والنسائي وابن معين (ت ١٥٦ هـ) ترجم في طبقات ابن سعد ٣٨٥/٦ ، والجرح والتعديل ٢٠٩/١/١ ، وطبقات القراء ٢٦١/١

(٢) التبصرة ١١/ب ، والتيسير ١٧ ، والنشر ٢٥١/١

(٣) ص : «وأنه» .

(٤) ب : «سليمان» فصوص ، وهو سَلَيْم بن عيسى ، مقرئ ضابط ، عرض القرآن على حمزة ، وهو أخص أصحابه واضبطهم وأقومهم بحرفه ، عرض عليه الدوري وخلف بن هشام وخلاد بن خالد وغيرهم ، (ت ١٨٨ هـ) ترجم في ميزان الاعتدال ٢٣١/٢ ، وطبقات القراء ٣١٨/١

(٥) قوله : «أنه كان» سقط من : ص .

(٦) التبصرة ١١/ب ، والتيسير ١٧ ، والنشر ٢٥١/١

(٧) ب ، ص : «جلس» ولا وجه له عندي ، ورجحت ما البتة .

(٨) ب : «بين الإخفاء» وتصويبه من : ص .

(٩) ب : «وقرت» ، ص : «تقرر» وب حذف التاء الوجه .

ليسا من القرآن ، إنما هما للاستفتاح والدعاء والتبرك ، وهو الاختيار ، وعليه العمل عند القراء في سائر الأمصار .

« ١١ » فإن قيل : فما وجه مذكرته عن المُسَيَّبِي (١) عن نافع (٢) أنه ترك التعموذ والجهر بالبسلة (٣) ؟

فالجواب أنه على معنى ما ذكرنا ، أنه أخفاهما إذ ليسا من القرآن ، ولثلا (٤) يظن ظان أنهما من (٥) القرآن ، ذلك (٦) أنه أسقطهما مرة واحدة .

والمشهور عن نافع وغيره إظهارهما (٧) .

(١) هو محمد بن إسحاق ، روى القراءات عن أبيه عن نافع ، والحديث عن يزيد ابن هارون وابن عيينة ، وعنه أبو زرعة ومسلم بن الحجاج وأبو داود ، (ت ٢٣٦ هـ) ترجم في التاريخ الكبير ٤٠/١/١ ، والوافي بالوفيات ١٨٩/٢ ، واللباب ١٣٧/٣

(٢) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، أحد القراء السبعة وهو أحد الحرمين مع ابن كثير كما يذكر مكي في التبصرة ١/٥ ، أخذ القراءة عرضا عن جماعة من تابعي أهل المدينة ، ورواها عنه عرضا وسماعا إسماعيل بن جعفر وعيسى بن وردان ومالك بن أنس وغيرهم ، (ت ١٦٩ هـ) ، ترجم في الجرح والتعديل ٤٥٦/١/٤ ، وطبقات القراء ٣٣٠/٢ ، وخلاصة التذهيب ٣٤٢

(٣) التبصرة ١١/ب ، والتيسير ١٧ ، والنشر ٢٥١/١

(٤) ص : «لثلا» .

(٥) ص : «أنهما ليسا من» .

(٦) ب : «وليس ذلك» وتوجيه العبارة من : ص .

(٧) هو مذهب جمهور المغاربة وأهل الأندلس ، انظر النشر ٢٥١/١ ، ٢٦٤